

9- إثبات صفات الرضا والغضب والسطح والكره والمقت

[قوله: { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } [البينة: 8]. { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَرَأُوهُ حَالِدًا فِيهَا وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ } [النساء: 93]. قوله: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَسْبَغُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ } [محمد: 28]. { قَلَمَّا آسَفُوْنَا أَنْتَقَمِّا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ } [الزخرف: 55]. قوله: { وَلَكِنْ كَرَةَ اللَّهِ أَبْغَاهُمْ فَبَيْطَهُمْ } [التوبه: 46]. قوله: { كَبَرَ مَقْنًا عَنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الصف: 3]. . الشر * قوله: { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } . هذه الآيات تضمنت صفات فعلية لله - جل وعلا - وكما هو معلوم أن صفات الله تعالى على قسمين: الأول: الصفات الذاتية والثاني: الصفات الفعلية والفرق بينهما أن الصفات الذاتية هي الصفات الازمة للموصوف دائمًا مثل: صفة الوجه، واليد، والسمع، والكلام، والحياة، والعلم، والقدرة، ونحوها، فهي صفات ملزمة لله سبحانه، يعني: أنها ملزمة لذاته سبحانه، لا تفك عنه بوجه من الوجوه. أما الصفات الفعلية: فهي الصفات التي يفعلها إذا شاء متى شاء لا على وجه الدوام، وقد تعرف بأنها التي تقوم بالموصوف وقتاً، ويقوم به صدتها في وقت آخر، مثل صفة النزول، والمجيء، والإitan، والرضا، والغضب، ونحوها. * وقد تضمنت الآية الأولى: إثبات صفة الرضا لله - سبحانه - وهي قوله سبحانه: { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ } [البينة: 8]. والرضا في المخلوق: هو انبساط القلب إلى المرضي عنه، وظهور البشر والفرح والسرور عليه، هذا في حق المخلوق، أما الرضا في حق الله فإنه حقيقي، ولكن لا نكifice، ولا ندرى ما كيفيته. والدليل على أنه الرضا الحقيقي أنه قارنه بربنا المخلوق { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } في عدة آيات في القرآن، منها هذه الآية في آخر سورة البينة، ومنها الآية التي في سورة التوبه: { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ أَتَبَعُوهُمْ يَأْخُسَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } [التوبه: 100]. فأثبتت أنه رضي الله عنهم، فدل على أنه يرضي، وأنهم رضوا عنه، ورضاهن قناعتهم بما أعطاهم، كما في الحديث الصحيح: { إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: هل رضيتم، فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين: ألم تبص وجوهنا؟ ألم تقل موازينا؟ ألم تدخلنا الجنة وتتجينا من النار؟... } الحديث فهذا رضا المخلوق، وأما رضا الخالق فهو - كما في بقية الحديث - أنه سبحانه يقول لهم: { أَحَلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ } أخرجه البخاري برقم (6549) في الرقاق، باب: "صفة الجنة والنار"، ورقم (7518) في التوحيد، ومسلم برقم (183) في الإيمان، باب: "معرفة طريق الرؤبة"، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. فأثبتت أنه يرضي، وأن له رضي، وأثبتت صدته وهو السخط، ومن الأدلة على أن الرضا ضد السخط. * الآية الثانية: وهي قوله تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَسْبَغُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ } [محمد: 28]. السخط هو الغضب، وهو ضد الرضا وقد أثبت الله لنفسه الغضب، وأثبت لنفسه السخط، ووصف نفسه بأنه يسخط ويرضى ويعصب. فهوئاء المناقون: { أَتَبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ } يعني: اتبعوا الشيء الذي يسخطه ويعصبه، وهو عصيانهم وتمردهم عن طاعة الله. وفي حديث الشفاعة المشهور يقول أدم ونوح وإبراهيم { إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله } أخرجه البخاري برقم (3340) في أحاديث الأنبياء، باب: "قول الله عز وجل: "ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه" ، ومسلم برقم (194) في الإيمان، باب: "أدنى أهل الجنة منزلة فيها" ، عن أبي هريرة رضي الله عنه.. فدل على أن الغضب صفة حقيقة ثابتة يتتصف بها سبحانه إذا شاء متى شاء، فهي من الصفات الفعلية، ثم قال: { وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ } فذكره بالاسم -رضوانه- أي: رضاه، وقد ورد الرضا بالاسم والفعل. * الآية الثالثة: وهي قوله تعالى: { قَلَمَّا آسَفُوْنَا أَنْتَقَمِّا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ } [الزخرف: 55]. فيها أيضًا إثبات ضد الرضا وهو الأسف بمعنى الغضب أو شدة الغضب، قوله: { قَلَمَّا آسَفُوْنَا } يعني: أغضبونا، جعل الأسف مكان الغضب، يعني: أنهم اتبعوا الشيء الذي غضب الله عليهم لأجله، وقد سمي الله الغضب أسفًا في قوله: { وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ عَصْبَانَ أَسْعَفَهُ } [الأعراف: 150]. يعني: غضبان غضبا شديدا. فنقول: إن الله - سبحانه - يغضب وبأسف ويسخط كما يشاء، وهي من الصفات الفعلية. * الآية الرابعة: وهي قوله تعالى: { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَرَأُوهُ حَالِدًا فِيهَا وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } [النساء: 93]. والشاهد منها قوله: { وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ } فيها إثبات الغضب واللعنة: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، والغضب صفة فعلية يتصرف الله بها إذا شاء وقد أثبتها أهل السنة لله - سبحانه - على ما يليق به، ونهاها غالب المبدعة؛ كالأشاعرة، والمعترضة ونحوهم، فإنهم ينكروها، يقولون: لا نعرف الغضب إلا أنه خاص بالمخلوق، ويقولون: إن الغضب هو غلبة دم القلب لطلب الانتقاض، وهذا لا يليق بالله، فيقال لهم: إن هذا ما تعرفونه من صفات المخلوق، فاما غضب الخالق فهو كما يليق به، والآيات في الغضب أيضًا كثيرة منها قوله تعالى في آية اللعن: { وَالخَامِسَةُ أَنَّ عَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ } [النور: 9]. فدل على أن الله يغضب إذا شاء. * الآية الخامسة: وهي قوله تعالى: { وَلَكِنْ كَرَةَ اللَّهِ أَبْغَاهُمْ فَبَيْطَهُمْ } [التوبه: 46]. الشاهد قوله: { كَرَهَ } فيه إثبات الكره والكرهية بمعنى البغض، دل على أن الله يكره ويعصب إذا شاء، ومعنى الآية: أن الله تعالى كره خروج المنافقين مع المؤمنين للقتال، فكره الله لخروجهم يفيدنا إثبات صفة الكراهية، وهي أيضًا من الصفات الفعلية التي يتصرف بها إذا شاء متى شاء. * الآية السادسة: وهي قوله تعالى: { كَبَرَ مَقْنًا عَنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الصف: 3]. فيها إثبات المقت، ومثلها قول الله تعالى: { لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرَ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفَسَكُمْ } [غافر: 10]. والمقت: هو البغض الشديد، دل ذلك على أن الله يمقت أي: يبغض وهو ضد الحب، وورد في الأحاديث إثبات صفة البغض لله تعالى كما في الحديث الصحيح: { إن الله إذا أبغض عبدا نادى جبريل، فقال: إني أبغض فلانا فأبغضه } أخرجه مسلم برقم (2637) في البر والصلة، باب: "إذا أحب الله عبدا حبيبه إلى عباده" ، عن أبي هريرة رضي الله عنه.. فيجب علينا إثبات هذه الصفات التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي صفة المقت والكرهية، وهي متقاربة، والكرهية ضد المحبة، ويجب إثبات الغضب والأسف، وهي متقاربة، واللعنة والسطح والأسف. وهذه الصفات - كما تقدم - هي صفات فعلية -يفعلها الله إذا شاء متى شاء- كما يليق به سبحانه، فشيئتها له سبحانه من غير تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تكييف، فالله سبحانه يرضي إذا شاء ويعصب إذا شاء ويحب إذا شاء، ويكره ويعصب إذا شاء... إلخ. فهي صفات فعلية اختيارية، قد تسمى أفعالاً بالنسبة إلى ورودها بلفظ الفعل: كره ورضي، فهي أفعال، وتسمى صفات؛ حيث إنه يتصرف بها ذلك الكاره والمحب، والمبغض ونحوه، ويجب إثبات كل ذلك على ما يليق بجلال الله وكماله.